الأدب والفن في أسبوع

الأدب المقارن :

ألقى الدكتور طه حسين بك محاضرة في نادي الخريجين المصري يوم الجمعة ، عنوانها « الأدب المقارن وأثره في التقريب بين الأمم » بدأها بتصويب كلمة « مقارن » رداً على من يخطئونها فقال : إن القرن في اللغة الحبل الذي يقرن به بين بعيرين ، فما الذي يمنع أن نقرن بين شاعرين أو فكرتين لنرى ما بينهما من أوجه الشبه والاختلاف ؟ بل إن « المقارنة » أدق من « الموازنة » التي يدعون إلى استعمالها ، لأن الموازنة تقتضي تفضيل شيء على شيء ، وليس في المقارنة تفضيل .

ثم قال : إن الأدب المقارن ليس حديثاً كما يقولون ، لأن الناس منذ عصور قديمة قاسوا بعض الآداب إلى بعض ، كما فعل هيرودوت ، إذ تحدث عن تأثر اليونانيين ببعض الآداب المصرية القديمة ، وكما فعل العرب في صدر العصر العباسي ، إذ ترجموا الآداب ، وتحدثوا عن التراث الفني للأمم التي نقلوا عنها . أما في العصر الحديث ، فقد تعمق المحدثون النظرات القديمة في المقارنة بين الآداب ، ووضعوا لها أصولا وقواعد ، حتى تكوّن فن الأدب المقارن الذي يرجع البعض نشأته إلى أوائل القرن الماضي ، ويقول آخرون إنه نشأ في أواسط القرن الماضي ، ويقول غيرهم إنه حديث جداً ، فمهده أوائل هذا القرن .

وتحدث بعد ذلك عن تأثر أدب الرومان بأدب اليونان وأثره فيه ، وعما نشأ من التفاعل بين الأدبين من ظهور ألوان في الأدب هنا وهناك . وقال إن الأدب العربي بعد الإسلام يختلف عما كان قبله ، فقد فتح العرب الأمم المجاورة لهم واتصلوا بها وهي ذات حضارة قديمة ، فتأثروا بها ، وتغيرت حياتهم ، وتمتعوا بالترف المادي والترف المعنوي ، فلم يكتفوا بسكنى الدور والقصور ، بل استحدثوا ألواناً من الفن لم يكن لهم بها عهد . فشعراء الحجاز مثلا رأوا أنفسهم أمام فنون وافدة عليهم من الفرس والروم وغيرهم ، هي فنون الغناء والموسيقى والرقص ، فكان لها في نفوسهم أبلغ الآثار ، فبرعوا في الغزل واللهو على نحو لم يكن في الجاهلية ، وحدث هذا في الحجاز وبه الأماكن المقدسة ، فما بالك بالعراق وخاصة بغداد في عصر العباسيين الذي امتاز بالدراسات الثقافية والفلسفية ، فلم يكتف الشعراء بملكاتهم ، بل أخذوا بهذه الدراسات وانتفعوا بنتائجها وأفكارها واستعملوا مصطلحاتها في أشعارهم . وكذلك كان شأن العرب بالأندلس ، بل هم أكثر إمعاناً في هذا السبيل لتاخمهم ومعاشرتهم للأوربيين الذين تأثروا هم أيضاً بالآداب العربية الأندلسية . وقال إن الأمة الفارسية بعدما استعادت لغتها القديمة ظلت تتابع الثقافات والآداب العربية وتتأثر بها .

ثم انتقل إلى أوربا في عهد النهضة ، فبين كيف ازدهرت الآداب والفنون بإيطاليا في القرن السادس عشر ، وأخذت أوربا الشمالية عنها هذه الآداب والفنون ، ثم ما كان بعد ذلك من تطلع الفرنسيين إلى الأدب الإنجليزي وانشغالهم به .

ساق الدكتور طه كل ذلك ليصل منه إلى ما يحدثه تبادل الآداب والفنون بين الأمم من التقريب والتأليف ، وأن ذلك حرى أن يصد تيار الجنون الذي يعترى الأمم في فترات مختلفة ، ثم ليصل أخيراً إلى ما ينبغي أن نفعله الآن ، فقال إننا أخذنا بالحضارة الحديثة في حياتنا المادية ، فلم نعد نركب الحمر وننتقل بالإبل ، ولكننا لم نتقدم في أدبنا عن ذلك ، فلا زلنا نكتفي بما عندنا ، ونزهد في آداب غيرنا ، ونعمد في مترجماتنا إلى ما يقصد به اللهو والتسلية ، فيجب أن نقبل على الآداب الأجنبية ، نتفهمها ، ونأخذ عنها ، ونحاكيها ، ثم نبتكر بعد الاستفادة منها ، ليكون لنا أدب يؤخذ عنا كما نأخذ عن غيرنا .

تعقيب :

الذي نعرفه أن الأدب المقارن هو الدراسة التي تقوم على المقارنة بين أدب وأدب للبحث عما يتشابهان وما يختلفان فيه من الخصائص والموضوعات وما إلى ذلك . وقد كان حديث الدكتور طه في هذا في أول المحاضرة عندما قال إن القدماء كان لهم نظرات في قياس بعض الآداب إلى بعض ، وإن المحدثين تعمقوا تلك

النظرات ووسعوا ونظموا الدراسات فى المقارنة بين الآداب . ولكن حديثه بعد ذلك — وهو معظم المحاضرة وموضوعها — كان فى شىء آخر — على ما نفهم — هو انتقال الآداب من أمة إلى أخرى وتأثير أدب فى آخر ، وأثر هذا فى التقريب بين الأمم ؛ وقد دعا فى ختام محاضرته إلى ألا نكتفى بأدبنا وإلى أن نأخذ من آداب غيرنا ، فهل الأخذ من الآداب الأجنبية يسمى أدباً مقارناً ؟

هذا وقد فجعنا الدكتور طه فى أدبنا العصرى ، الذى تكون من إنتاجه وإنتاج غيره من سائر أساتذتنا أدباء الجيل ، فهم منذ عشرات السنين يطلبون الآداب الأجنبية ويتفهمونها ويترجمونها ويحاكونها ، وزعم أنهم ابتكروا بعد الاستفادة منها ، وإذا الدكتور طه حسين يقول إننا مكتفون بما عندنا وراهدون فى آداب غيرنا ... بل يقول إنا واقفون فى حياتنا الأدبية عند ما يقابل ركوب الإبل والحمر فى حياتنا المادية ! فغيم كان ما كان ؟ ...

ومن ظريف المفارقات أنه يقول ذلك فى نادى خريجى القسم الإنجليزى من كلية الآداب الذين يوجهون جهودهم الأدبية كلها إلى دراسة الأدب الإنجليزى وإذاعته بالإذاعة المصرية التى توليه من عنايتها ما لا يظفر به أدبنا !

الصفحات المزوقة

كانت صحفنا اليومية قبل الحرب تخصص كل منها صفحة من صفحاتها للآداب والثقافة العامة ، وكانت تلك الصفحات تقدم للقراء زاداً فكرياً من ثمار الأقلام الناضجة ، ثم كانت الحرب وكانت أزمة الورق فاختفت تلك الصفحات . ولما فكت قيود تحديد الصفحات بعد الحرب عمد كثير من صحفنا إلى تخصيص بعض صفحاتها لـ .. لأى شىء ؟ لست أدرى اسم الذى تنشره هذه الصفحات المزوقة المزركشة ، فشىء أحمر ، وشىء أخضر ، وشىء أصفر ... وكثير ما ترى فى وسط هذا صورة فتاة فى وضع مثير ... ويختار لكل ذلك عناوين لا يتوخى فى وضعها أن تدل على الموضوع ، بل توضع على نحو يلفت الأنظار ولو لم يكن لها فى الموضوع أهمية ...

- كنت وما زلت أنظر إلى هذه الصفحات وأقف عندها ، لأنى مبتلى بأمرين : الأول تتبع ما يكتب شبيها بالآداب والفنون ، الثانى الميل إلى تأمل معارض المحال التجارية « الفترينات » رغم ما يفزعنى من غلاء سلعها فى هذه الأيام مما يحملنى على الاكتفاء بالتأمل والمضى فى طريق ... وكذلك حالى مع تلك الصفحات ، إلا أن الذى يصدنى هنا ويحملنى على المضى هو رخص محتوياتها !

ومن الغريب ما رأيته مرة لأحد من يكتبون تلك الصفحات الملونة : أبيات ، تحت صورة امرأة ، يقول فيها إنها فتاة أحلامه .. فهل هى صورة لفتاة يحبها وينشرها على الناس ، أو هى صورة امرأة ، أية امرأة !

ولم أكن مع كل ذلك مستريح الضمير ، فكنت أتهم نفسى بغمط تلك « الآداب » التى قد تكون « رفيعة » ولكنها لا تلائم مزاجى ، ولكن خفف عنى هذا القلق النفسى الدكتور حسين مؤنس بما كتبه فى « البلاغ » تحت العنوان الذى يتخذه لكتابته يوم الأربعاء وهو « ما سمعت وما رأيت وما قرأت » وخص الموضوع الذى نحن بصدده بالكتابة عنه فيما رأى لا فيما قرأ قائلا إن هذه المقالات ترى ولا تقرأ ، وقد ندد بما يصنعه كاتبوها ، لأن الواحد منهم كما قال « يلخص لك الكتاب لا يذكر لك شيئاً عن هذا الكتاب ولا شيئاً عن مؤلفه ... وهو يحسن إلى نفسه بهذا الأسلوب الغريب فى السطو على كتب الناس . يحسن إلى نفسه لأنه يحول بينك وبين تعرف الأصل وتعرف مقدار الأمانة التى يعرض عليك الكتاب بها ، وقد حاولت كثيراً أن أتعرف الأصول فلم أستطع » إلى أن قال : « وأغرب ما عند هؤلاء الشبان أنهم جميعاً مرضى العقول بشىء تستطيع أن تسميه « جنون الجنس » فكل مقالاتهم وفلسفاتهم تدور حول موضوع واحد : المرأة ! فهم يعرضون عليك قطعاً غرامية ومخاطرات نسائية لا أعرف أين يلتمسونها اللهم إلا إذا كانوا يأذنون لأنفسهم فى الاستقاء من صحف خليعة مما لا يقرأ فى البلاد الأوربية إلا خفية وفى كثير من الحياء » .

ثم جعل الدكتور مؤنس يسائل هؤلاء : لمن يكتبون هذا ؟ أ للعقلاء وهم لا يرتاحون لمثل هذا الفحش ؟ أم للمجانين وهم ليسوا بحاجة إلى من يزيدهم جنونا ؟ ولماذا يكتبونه ؟ أللتثقيف الناس بالكلام الفارغ ... أم للتسلية والارتزاق والشهرة التى خير منها الخمول . . ؟

توفيق الحكيم أخيراً

تبلغ — ولا شك — أذنى الأستاذ توفيق الحكيم ، ما يردد على الأقلام والألسنة من أنه شغل عن الإنتاج الأدبي القيم منذ سنوات بما يكتبه فى « أخبار اليوم » من أشياء أقل ما توصف به أنها ليست كسابق إنتاجه ، ولا بد أنه يشعر بهذا وإن لم يكن يسمعه ؛ ولذلك كتب أخيراً فى أخبار اليوم مقالا بعنوان « فتاة بين جيلين » ساق الحديث فيه على لسان شاب وفتاة أديبين كانا فى مكتبه ، سألت الفتاة وأجابها الشاب ، ومن السؤال والجواب ترى أن الأستاذ الحكيم يحاول أن يبرر ما آل إليه من الركود الأدبي والابتذال الصحفى ، بأن الناس حيروه ... إذا اعتصم بالبرج العاجي قالوا كيف لا يهبط إلى الناس يشعر بشعورهم ويدرس أحوالهم ويعرف أنباءهم ويعرض شكاواهم ويدافع عن حقوقهم ، فإذا فعل عادوا فقالوا أين العزلة التى يكتب فيها لطائفة من الخاصة .

والمغالطة فى هذا الكلام ظاهرة ، لأنه لم يكن فى البرج العاجي يوم كتب « يوميات نائب فى الأرياف » وغيرها مما شعر فيه بشعور الناس ودرس أحوالهم ، فلم الحيرة ؟ أليس هناك إلا العزلة فى البرج وملء الصفحات بكلام لا نبض للفن فيه .. ؟

وأراد أيضاً أن يقول إنه لم يهمل فنه ، وما عليه أن يسكت عامين أو ثلاثة أو خمسة أو عشرة يدرس خلالها نفسه من جديد ، ويزن تأملاته ، ويختزن تجاربه ، ويراقب أحوال الناس وتطورات المجتمع ، ويراجع أعماله القديمة ، ويبحث عن طرائق للتعبير الفنى جديدة ، ليصل إلى نوع من الفن لا علاقة له بكل ما عالج من قبل .

ولكن هل هو ساكت ..؟ أو لديه فراغ يدرس فيه ويزن ويختزن ويراقب ويراجع ويبحث ؟

لقد أراد توفيق الحكيم أن يطالع آلاف الناس ، وقدمته إليهم « أخبار اليوم » الواسعة الانتشار ، ولكنه كان (مقلباً) لتوفيق الحكيم ... فلم يؤد هذا التقديم إلا إلى تأخير ... أغلى من ثمنه !

وليت شعرى ، هل الإشارة إلى البحث عن فن جديد ، اعتذار أو إرهاص ؟ وإذا كان الثانى فكل ما نرجو ألا يكون الجديد من نوع « الحمار » و « وصية البطاطس » ...

اللغة العربية فى السوربون

جاء من باريس أن الشيخ أحمد الزمورى قاضى الدار البيضاء ألقى محاضرة فى قاعة الاحتفالات الكبرى بكلية الحقوق بباريس، عن مصادر الشريعة الإسلامية ، وأن هذه أول مرة يتاح فيها لخطيب عربى أن يعتلى منبر « السوربون » ويخطب باللغة العربية

والمعروف أن « السوربون » تلقى فيها محاضرات فى مختلف الثقافات والآداب ولكنها لا تكون إلا باللغة الفرنسية ، وعلى هذا قد خرق الذى جرت عليه لأول مرة وباللغة العربية .

والاستفهام التعجبي الذى يقوم بنفسى وبنفسك ، هو : أبلغ حب أبناء السين للغة أبينا يعرب بن قحطان إلى هذا الحد ؟ وهل يرون حقاً أنها اللغة الثانية فى العالم الجديرة بأن تأخذ مكانها إلى جانب لغتهم فى السوربون ؟

ولعلك تذكر — كما أذكر — تلك الصيحة التى انبعثت فى العام الماضى من المغرب — بلاد القاضى المحاضر — بالشكوى من منع الفرنسيين المحتلين وسائل الثقافة الصادرة فى البلاد العربية من كتب وصحف ، من الوصول إلى تلك البلاد التى يريدون أن يفرنسوها — نذكر هذا فنعجب لمن يتظاهرون بالتمكين للعربية فى باريس وهم الذين يعملون على كتم أنفاسها فى مواطنها! .

أليس حقيقة الأمر أنها مظاهر استعمارية ؟ ستقول : ومالو(١) إنه كسب للغة العربية مهما تكن الدوافع إليه ؟ ألا تستبشر لأن العربية ترحف ؟ فأقول لك : الأمر كذلك ، ولكن لابد أن نلقى ضوءاً على مثل هذه الحركات لاستبانة مراميها التى هى غير مظاهرها .

مسابقة المجمع الأدبية

كان آخر نوفمبر الماضى النهاية التى حددها مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، لقبول الموضوعات التى تقدم للحصول على المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ، وهى فى الشعر وفى القصة وفى البحوث الأدبية ، كما بينت ذلك فى حينه .

---

(١) ومالو : تعبير عامى (بضم اللام) ولعل أصله فى سليم العربية بفتحها وتقدير الكلام : وما فى ذلك لو حدث .